الضوابط الفقهية لعمارة الحمامات الإسلامية، دراسة تطبيقية على نماذج مختارة من الحمامات فى العالم الإسلامي

The religious regulations of architecture of Islamic hammams Archaeological and applied study on selected examples of hammams in Islamic world

أ.د/ محمد على عبد الحفيظ محمد

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر

وكيل كلية الدراسات العليا – جامعة الأزهر

ملخص البحث:

يعتبر الدين والعقيدة من أهم العوامل التى تؤثر على العمارة بكافة أشكالها وعناصرها، وقد تصدى فقهاء المسلمين للكتابة فى " أحكام البناء "، فأفردوا لها أبوابا فى كتب الفقه، وتطور الأمر إلى أن كتبوا فيها كتبا مستقلة، وأسهم هذا التراث الفقهي فى وضع مجموعة من المعايير التصميمية المعمارية حرص المعماريون على مراعاتها في العمارة الداخلية والخارجية للمنشآت الإسلامية.

وكانت الحمامات الإسلامية من بين المنشآت التى روعى فى عمارتها توجيهات الفقهاء، وصنفت كتب مستقلة عن الحمامات تناولت اجتهادات لمؤلفيها تتعلق بالشروط الواجب مراعاتها عند بناء الحمام،والصورة التى ينبغى أن يكون عليها مسلخ الحمام وبيت الحرارة والمغاطس والمستوقد، والأحواض والأرضيات والأسقف والجدران، وكانت تلك الشروط تراعى إلى حد كبير عند بناء الحمامات .

ورغم أن الحضارة الإسلامية قد ورثت فكرة الحمامات العامة عن الحضارات السابقة وبصفة خاصة الحضارتين اليونانية والرومانية، لكن الصياغة المعمارية للحمام الإسلامى اختلفت عن مثيلتها فى الحمامات السابقة.

التزمت الحمامات الإسلامية في نظم تشغيلها بالضوابط الفقهية، فخصصت حمامات للرجال وأخري للنساء، وصممت أحواض المياه وقنواته بطريقة معينة تتوافق مع الأحكام الفقهية لطهارة الماء، كما تأثرت المكونات الداخلية للحمامات بالقيم الدينية الإسلامية.

تناول الفقهاء فى كتاباتهم مسائل متنوعة تتعلق بعمارة الحمامات من وجهة النظر الشرعية، وقد تم تطبيق هذه الآراء الفقهية فى عدد كبير من الحمامات فى العالم الإسلامي وهو ما ستكشف عنه هذه الدراسة.

Abstract:

Religion and faith are of the most factors that affect all architectural forms and components. Muslim clerks used to write about :(the regulations of building). They specified chapters in fiqh (jurisprudence) books, that they even wrote independent books. That jurisprudential heritage has contributed in putting a group of design and architectural criteria that the architects were keen on taking into consideration inside and outside Islamic buildings. The Islamic hammams were among buildings that took jurisprudential directions into consideration in their building.

Independent books were compiled about hammams conveying judgments of scientists concerning the conditions that should be applied during building the hammam and the shape of changing room (maslakh) ,warm room (Bait awal), heat room (Bait harara) , ovens, sinks, floors, roofs and walls. These conditions were greatly considered during building hammams . Although the Islamic civilization inherited the idea of public hammams from the previous civilizations especially the Roman and Greek civilizations ,nevertheless, the architectural form of Islamic hammam were different from those of previous hammams . Islamic hammams adhered to religious regulations in working system. They assigned hammams for men and others for women. Bathtubs and waterways were designed in a specific way according to the jurisprudential rules of water cleanliness. The inside components of hammams were affected by Islamic values. Muslim scholars conveyed different issues in their writings related to the architecture of hammams from Islamic point of view. Those jurisprudential opinions were applied in a lot of hammams in the Islamic world that will be conveyed in this study.

مقدمة البحث:

يتفق مؤرخوا الفن والعمارة على أن العمارة بصفة عامة تتأثر بعدة مؤثرات أساسية هى : الدين، والبيئة والمناخ، والعرف والعادات والتقاليد، والعمارة الإسلامية لا تخرج عن هذه المؤثرات، فهى انعكاس مباشر للمعايير والقيم الدينية المستنبطة من الشريعة الإسلامية، لقد كانت حياة المجتمع الإسلامي تدور كلها فى فلك الشريعة الإسلامية التى كانت تمثل المظلة القانونية لجميع المسلمين ابتداء من عهد النبي عليه السلام حتى نهاية العصر العثماني حين حلت القوانين الوضعية محل الأحكام الشرعية[1]، وكان للفقهاء وعلماء الدين تأثير قوي فى توجيه المجتمع والتأثير على أفراده، وامتد هذا التأثير إلى مجالات مختلفة ومنها مجال العمارة .

وتأتى الحمامات الإسلامية ضمن أنواع العمائر الإسلامية المختلفة التى تأثرت عمارتها بالضوابط والقيم الدينية التى استمدها الفقهاء من الكتاب والسنة، وقد رأيت أن أفرد هذا البحث لدراسة هذا الموضوع الدقيق[2]، مستهدفا إبراز الضوابط والمعايير الدينية التى أثرت على عمارة الحمام الإسلامي، وتقديم نماذج تطبيقية جديدة من الحمامات الإسلامية التى التزمت بهذه المعايير.

ويجدر بنا قبل الخوض في الضوابط الفقهية لعمارة الحمامات الإسلامية، أن نعطى للقارئ لمحة موجزة عن نشأة الحمامات الإسلامية، ودوافع إنشائها، ودورها فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المجتمع الإسلامي، وتخطيطها المعماري.

لعبت الحمامات العامة دورا بارزا فى حياة المجتمع الإسلامى فى العصور الوسطى، وكان الحمام والجامع والسوق ودار الإمارة يمثلون العناصر الأساسية فى أى مدينة إسلامية .

---

(1) محمد عبد الستار عثمان، فقه العمارة بين البحث والتعليم، المؤتمر الدولى الأول للتراث العمراني فى الدول الإسلامية، 23-28 مايو 2010م، ص3 .

(2) تختلف هذه الدراسة عن دراسة أستاذنا الدكتور محمد عبد الستار عثمان الموسومة " فقه عمارة الحمامات فى العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات فى صعيد مصر " والمنشورة ضمن أعمال المؤتمر الرابع لمدونة الآثار العثمانية " التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم"، زغوان، تونس، 2001م، كون المجال النظري لدراسة أستاذنا هو كتاب المناوي " النزهة الزهية فى أحكام الحمامات الشرعية والطبية"، أما المجال التطبيقي فيقتصرعلى ثلاثة حمامات بصعيد مصر ، فى حين أن دراستنا مجالها النظري جميع كتب الفقه، فضلا عن وثائق الحمامات، أما مجالها التطبيقي فيشمل نماذج مختلفة من أنحاء العالم الإسلامي ، ومن جميع العصور الإسلامية، وليس مقتصرا على العصر العثماني.

وقد ورثت الحضارة الإسلامية فكرة الحمامات العامة عن الحضارات السابقة وبصفة خاصة الحضارتين اليونانية والرومانية، لكن الصياغة المعمارية للحمام الإسلامى اختلفت عن مثيلتها فى الحمامات السابقة[3]، كما أن وظيفة الحمام الإسلامي طبعت بطابع ديني يتمشى مع متطلبات الشرع الحنيف، يبدأ بستر الجسد حسب شروط معينة، ومرورا بطريقة الإغتسال الخاضعة لتعاليم الفقه الإسلامي المستندة أساسا إلى السنة النبوية، وانتهاء بممارسات تجميلية وصحية أصبحت من الوظائف الاجتماعية المرتبطة مباشرة بالحمام[4] .

ويمكن القول أن التردد على الحمامات العامة كان سمة اجتماعية فى المجتمع الإسلامى فى العصور الوسطى، ولم يكن ذلك الأمر قاصرا على الفقراء ومتوسطى الحال فقط، بل كانت الحمامات تجتذب كذلك بعض الأغنياء والأمراء وأفراد الطبقة الحاكمة، وبطبيعة الحال فقد كانت الخدمة التى تقدم لهؤلاء الأغنياء داخل الحمام تختلف كثيرا عن تلك التى تعطى لعامة الناس[5]، كذلك كان التردد على الحمامات مفتوحا لكلا الجنسين الرجال والنساء على الرغم من الجدل الذى دار بين الفقهاء حول حرمة ذهاب النساء إلي الحمامات، وكانت بعض الحمامات تخصص أوقاتا خلال النهار للرجال، وأخرى للنساء، والبعض الآخر كان يخصص أياما بعينها للرجال وأخرى للنساء، هذا بالنسبة للحمامات المفردة، أما الحمامات المزدوجة فقد كانت تضم قسمين أو حمامين متلاصقين أحدهما للرجال والآخر للنساء ولكل واحد منهما مدخله الخاص ووحداته المعمارية المنفصلة، فيما عدا المستوقد فإنه غالبا ما يكون مشتركا بين الحمامين، ويكون له مدخل خاص .

لم تقتصر أهمية الحمامات فى العصور الإسلامية على الاستحمام والنظافة والتطهر فحسب، بل مثلت الحمامات أيضا مؤسسات اجتماعية للرجال والنساء على حد سواء، فبالنسبة للرجال كان الحمام بمثابة " منتدى اجتماعى " يلتقى فيه الأصدقاء يناقشون فيه الموضوعات المختلفة، ويتبادلون وجهات النظر فى الأمور السياسية والأحداث اليومية، ونفس الأمر بالنسبة للنساء حيث كان الذهاب إلى الحمام بالنسبة للنساء يمثل فرصة لهن للإنطلاق خارج المنزل للترويح عن أنفسهن والاجتماع بصديقاتهن، كذلك كان الحمام يمثل مكانا شاعريا وهادئا لبعض كبار التجار لعقد الصفقات التجارية[6] .

واعتبرت الحمامات فى العصور الوسطى بمثابة معاهد للتجميل تهرع إليها الكثيرات من النساء للعناية بأنفسهن ولإبراز جمالهن وفتنتهن، وكان للحمام دور كبير فى علاج كثير من الأمراض وبصفة خاصة الأمراض الجلدية كالجرب والبرص، كذلك كان الأطباء ينصحون مرضى الروماتيزم وأمراض المفاصل بالذهاب إلي الحمام، كذلك كانت بعض عمليات التجبير تتم داخل الحمامات .

وفضلا عما سبق فقد كان للحمام مشاركة فعالة فى عدد من الإحتفالات الإجتماعية أبرزها حفلات الزواج وحفلات الختان، وجرت العادة أن يذهب العروسان إلي الحمام فى موكب كبير يعرف باسم " زفة الحمام"[7].

كان للحمام أيضا دور غير مباشر فى نظافة أحياء المدن الإسلامية إذ كان يتم تجميع قمامة الحى فى الحمام لاستغلالها كوقود لتسخين مياه الحمام .

أما بالنسبة للتخطيط المعماري للحمامات الإسلامية فكانت تشتمل عادة على مدخل ضيق حتى لا تدخل تيارات الهواء إلي داخل الحمام فتؤذى المستحمين بالداخل، ويؤدى هذا المدخل إلي دهليز منكسر فى نهايته يوجد القسم الأول من أقسام الحمام الثلاثة وهى على النحو التالي :

---

(3) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة رقم 128، الكويت، 1988م، ص 248 .

(4) على الصولي، الحمام الإسلامي، قراءة فى الفكر المعماري والعمراني العربي والإسلامي، المعهد العالى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، 2008م، ص 317-318.

(5) دى شابرول، المصريون المحدثون، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، 2002م، ص 134.

(6) محمد على عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مكتبة الإسكندرية، 2007م.، ص 19.

(7) محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك،رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، 1980م.، ص 164.

القسم الأول : المسلخ أو المشلح، وفى تونس يعرف باسم " المحرس" أو " بيت البدل"، وهو القاعة الباردة المخصصة لخلع الملابس، والاستراحة، ويشتمل على ساحة كبيرة فى الوسط يلتف حولها عدد من الإيوانات، وتطل عليه بائكة من العقود التى تستند على مجموعة من الأعمدة، ويضم المسلخ أماكن لخلع الملابس ومساطب لجلوس المستحمين، ومكان لجلوس معلم الحمام، وقد يلحق به فى الطابق العلوى مقاصير للاستجمام، تؤجر للقادرين وعلية القوم، ويتوسط أرضية المسلخ عادة فسقية أو نافورة للماء البارد، وغالبا ما يكون سقف المسلخ مرتفعا عن بقية أسقف الأجزاء الأخرى من الحمام أو يغطي بقبة كبيرة كما في حمام المؤيد شيخ بالقاهرة، وحمام تشمبيرلي طاش باستنبول (لوحة 5).

القسم الثانى : القسم الأوسط من الحمام ويعرف باسم " بيت أول "، وهو القاعة الدافئة بالحمام، وحرارته متوسطة معتدلة، وتشتمل على أواوين ومساطب أيضا، وغالبا ما يكون بها دورات للمياه، وقد يلحق بها خلوة للأدوية والدهون، وخلوة النورة لإزالة الشعر، وقد يلحق به أيضا مكان لتجبير الكسور .

القسم الثالث : وهو الأخير ويعرف باسم " بيت حرارة ثانى " أو بيت حرارة فقط، أو " الحجرة الساخنة " وهى أشد أجزاء الحمام حرارة وبخارا، وبوسطه فسقية أو فوارة تفور بالماء الساخن، ويشتمل بيت الحرارة عادة على إيوانات أربعة متعامدة وفى زواياه توجد مجموعة من الخلوات بداخلها المغاطس التى تستخدم فى الاستحمام وأحواض الماء الساخن والبارد(لوحة 6– 7) ، وغالبا ما يكون سقف بيت الحرارة عبارة عن قباب معقودة بالجامات والزجاج الملون (لوحة 2) .

وفى بعض حمامات العالم الإسلامي ومنها حمامات بلاد الشام، وحمامات تونس والمغرب، يتضمن الحمام ثلاثة بيوت للحرارة على عكس الحمامات المصرية التى تشتمل على بيتين فقط، يطلق على البيت الأول فى حمامات بلاد الشام اسم " الوسطانى البراني"، أو " الوسطانى الأول " ، يقع بعد المسلخ مباشرة، ويطلق على البيت الثاني فى بلاد الشام اسم " الوسطانى الجوانى"(شكل 4) ، وفى تونس يسمونه " البيت الوسط"(شكل 6)، وفى المغرب يسمونه " الوسطى"، يليه البيت الثالث ، وهو يمثل القسم الحار أو الساخن بالحمام المشتمل على الخلاوى المعدة للاغتسال (لوحة 3).

ويلحق بكل حمام بعض الملحقات من أهمها المستوقد (الوجاق) والمنشر، ويقع المستوقد خلف بيت الحرارة ويتم فيه تسخين الماء اللازم للاغتسال، أما المنشر فهو عبارة عن مكان واسع تنشر فيه فوط الحمام، كما يخزن فيه الحطب والخشب اللازم لوقود الحمام.

الدوافع الدينية لبناء الحمامات :

تعتبر الدوافع الدينية أحد أهم الأسباب لبناء الحمامات الإسلامية، حيث كان بناؤها استجابة للتوجيهات الدينية بالحث على النظافة والتطهر، مصداقا لقوله تعالى " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" وقوله عليه السلام " الطهور شطر الإيمان "، كما أن الإغتسال من الجنابة أو من الحيض والنفاس شرط لصحة العبادات كالصلاة والطواف ومس المصحف، وحثت التوجيهات النبوية علي استحباب الاغتسال في مناسبات بعينها مثل صلاة الجمعة والعيدين، لذا يلاحظ ارتباط الحمام بالمسجد فى المدن الإسلامية.

ونظرا لأهمية الحمام فى حياة المجتمع الإسلامي فقد ذهب الفقهاء إلى أن صاحب الحمام إذا امتنع عن إدخال الناس إلى الحمام، وهم محتاجون إليه، لم يُمكّن من ذلك، وأُلزم ببذل ذلك بأجرة المثل[8] .

كذلك لوحظ ارتباط كثير من الحمامات بالأوقاف، فكان عدد كبير منها وقفا على المساجد والمدارس والخانقاوات والبيمارستانات، فبالإضافة إلى تحقيق هدف الطهارة والنظافة، تساعد الحمامات على توفير دخل ثابت لجهة الوقف، وعلى

[8] مجموعة من المؤلفين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج6، ص 76 .

سبيل المثال فى مصر كان حمام الصوفية وقفا على خانقاة سعيد السعداء بالجمالية[9]، وحمام الساباط كان موقوفا على البيمارستان المنصوري[10]، وحمام القاضى كان حصة منه موقوفة على المدرسة الطيبرسية المجاورة للجامع الأزهر[11]، وحمام الخراطين كان موقوفا على مدرسة جمال الدين الأستادار بالجمالية[12]، وحمام الذهب بالإسكندرية كان ثلثيه وقفا على جامع العطارين[13]، وفى حلب نجد أن حمام أغلبك كان موقوفا على جامع أغلبك بمحلة الباب الأحمر، وحمام الدريجات بمحلة سويقة على كان موقوفا على جامع تغرى بردى المعروف بجامع الموازيني بمحلة ساحة بزة[14]، وكان يوجد فى مدينة فاس قبل الاحتلال الفرنسي 21 حماما كلها تابعة للأوقاف (الحبوس)، وفى بلاد الأناضول ألحقت ببعض خانات الطرق حمامات، أوقفت لله تعالى ليدخلها النزلاء والمسافرون فيتطهرون ويغتسلون بها أثناء رحلتهم، ومن أمثلتها خان السلطان بمدينة آقسراى، وخان السلطان بمدينة قيصرى، وخان قره طاى[15]، ومن الحمامات الموقوفة على المساجد الحمام الملحق بمسجد خواند خاتون بمدينة قيصري، وحمام مجمع السليمانية باستنبول، وهذه الحمامات الموقوفة كان أكثرها تؤجر من جانب ناظر الوقف إلى مستأجرين نظير مبلغ من المال تستفيد منه جهة الوقف، وبعض الحمامات الموقوفة كان دخولها مجانا، بل إن بعض حمامات دمشق (مثل حمام فتحى) كان المستحم يدخلها مجانا، بل ويصرف له قرصين من الصفيحة باللحم مجانا (نوع من المأكولات الشعبية الدمشقية) [16].

أثر الضوابط الفقهية على الأنماط المعمارية للحمامات :

التزمت الحمامات الإسلامية في نظم تشغيلها بالضوابط الفقهية، فخصصت حمامات للرجال وأخري للنساء، ومن ثم ظهرت الحمامات المزدوجة، التى تشتمل على قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، لكل منهما مدخل خاص به، والجزء الوحيد المشترك بينهما هو المستوقد، أما الحمامات المفردة (شكل 5– 6) فكان يتم تحديد أيام مخصصة للرجال، وأيام أخرى للنساء .

الضوابط الفقهية لموقع الحمام :

وضع الفقهاء عددا من الضوابط الفقهية للموضع الذى يبنى فيه الحمام، وأول هذه الضوابط أن لا يبنى الحمام متقدما على جدار القبلة فى المسجد، فقد كره بعض الفقهاء أن يبنى الحمام ملاصقا لجدار القبلة فى المسجد، فيذكر السرخسي فى كتابه المبسوط " ويكره أن يكون قبلة المسجد إلى حمام لأن جهة القبلة يجب تعظيمها كذلك قال الله تعالى(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)[17] ومعنى التعظيم لا يحصل إذا كانت قبلة المسجد إلى هذه المواضع التي لا تخلو عن الأقذار"[18]، ومن ثم روعى فى موقع الحمامات ألا تكون واقعة خلف جدار القبلة فى أى مسجد، وبتطبيق هذا الضابط علي الحمامات الملحقة بالمنشآت الدينية فى مصر، نجد حرص المعمار على اختيار موقع الحمام بعيدا عن جدار القبلة للمسجد، إما بوضعها خلف المسجد كما هو الحال في حمام المؤيد شيخ الذي يقع خلف جامع وخانقاة السلطان المؤيد

([9]) المقريزي(تقى الدين أحمد بن على ت 845هـ)، ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ /1997م.، ج3، ص 155.

([10]) المقريزي، الخطط، ج3، ص 146.

([11]) المقريزي، الخطط، ج3، ص 152.

([12]) المقريزي، الخطط، ج3، ص 152 .

([13]) محمد عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية، ص 50.

([14])منصور محمد عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني، دراسة أثرية مقارنة، رسالة دكتوراه بكلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م.، ص 27.

([15]) عن هذه الحمامات انظر، فهيم فتحى إبراهيم، الحمامات السلجوقية فى الأناضول، دراسة آثارية معمارية، بحث منشور بكتاب مؤتمر التراث فى الآداب الشرقية، 30- 31 مارس، القاهرة 2013م، ص 453 .

([16]) منير كيال، الحمامات الدمشقية، دمشق، 1966م، ص 309.

([17]) سورة النور، الآية 36.

([18]) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ج1، ص 206.

شيخ بحى السكرية بالقاهرة، وحمام شيخو العمري الذى يقع خلف خانقاة الأمير شيخو بشارع الصليبة بالقاهرة (شكل 1)، وحمام الملك الظاهر، وحمام السلسلة اللذين بنيا خلف الجامع الأموي بدمشق (شكل 2)، أو وضع الحمام على أحد جانبي المسجد، كما فى الحمام الملحق بمسجد خشقدم الأحمدي بدرب الحصر بالقاهرة، وفى الحمام الذى كان ملحقا بمدرسة الأمير عبد الغنى الفخري المعروفة بجامع البنات بالقاهرة (مندثر)، وفى الحمام الذى كان ملحقا بتربة وخانقاة الأمير طغاي تمر النجميّ (مندثر) بقرافة المماليك بالقاهرة[19]، وفى حمام الشيخ إبراهيم باشا المجاور لمسجده بالإسكندرية،(شكل 3) كما نلاحظ ذلك أيضا فى حمام القيمرية المجاور للجامع الأموي بدمشق، وقد يبنى الحمام مقابلا للمنشأة الدينية كما هو الحال فى الحمام الملحق بمسجد ماه برى (خواند خاتون) بمدينة قيصري[20]، والحمام الملحق بجامع يلدريم بايزيد فى مدينة بورصة، كذلك أشارت وثيقة وقف الأمير جوهر اللالا إلى أن الحمام الذى أنشأه جوهر اللالا (مندثر) كان يقع مقابل مدرسته بالقاهرة [21].

ومن الضوابط الفقهية التى حددها الفقهاء لموقع الحمام أيضا ألا يبنى فى درب ضيق غير نافذ، فقد منع الفقهاء بناء أى منشأة عامة داخل الدروب غير النافذة، كالوكالات والفنادق والحمامات، وعللوا ذلك بأن الدروب غير النافذة تعد ملكية خاصة لسكانها، ومثل هذه النوعية من المنشآت العامة تضر بقاطنى هذه الدروب بإزعاجهم جراء كثرة الداخلين والخارجين ، قال ابن القاسم أحد فقهاء المالكية أن سكان الدرب غير النافذ من حقهم أن يمنعوا إنشاء حمام، أو فرن، أو كير للحديد، أو رحي تضر بالجدار فى دربهم [22].

كذلك تعرض الفقهاء لمسألة بناء حمام محدث بالقرب من حمام قديم، مما يضر بالحمام القديم فيحط من ثمنه، وينقص غلته وعمارته، بل ربما آل ذلك إلى أن يبطل الحمام القديم بسبب ما أحدث عليه، واختلفوا في ذلك، فرأى بعضهم منع الجار من إحداث شئ من ذلك[23]، ورأى آخرون بأن انحطاط القيمة لا تراعى[24]، وعلى كل حال فإن دراسة التوزيع الجغرافي للحمامات فى المدن الإسلامية تكشف عن عدم ملاصقتها لبعضها، بل كانت موزعة بطريقة مدروسة بحيث تغطى أحياء المدينة المختلفة، وتتناسب مع احتياجات سكان المدينة وعددهم.

الضوابط الفقهية لدخول النساء غير المسلمات للحمام وأثرها على عمارة الحمام :

كانت الحمامات العامة تفتح أبوابها لأهل الذمة من اليهود والنصارى رجالهم ونساؤهم على حد سواء وقتما شاءوا، لكن الفقهاء وضعوا ضوابط لدخول النساء غير المسلمات للحمام، فقد أفتي الفقهاء بعدم جواز اختلاط النساء المسلمات بنساء اليهود والنصارى داخل الحمامات، فأفتى الكمال ابن الهمام بوجوب تمييز نساء أهل الكتاب عن نساء المسلمين في الحمامات[25]، وعلل ابن الحاج ذلك بأن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تكشف بدنها لليهودية أو النصرانية، ومما استدلوا به فى ذلك قول لسيدنا عمر بن الخطاب حين كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح " بلغنى أن نساء من المسلمين يدخلن الحمامات ومعهن نساء من أهل الكتاب، فازجرهن عن ذلك وحل دونه"[26].

---

[19] المقريزي، الخطط، ج4، ص 361 .

[20] فهيم فتحى، الحمامات السلجوقية، ص 458 .

[21] وثيقة وقف جوهر اللالا رقم 1021 دفترخانة وزارة الأوقاف ، بتاريخ 23 رمضان 834هـ، محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص 272.

[22] عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)، جامع الأمهات، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1421هـ - 2000م، ص 444.

[23] النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر: 1415هـ - 1995م،ج2، ص 236 .

[24] ابن سهل، عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني القرطبي الغرناطي أبو الأَصْبَغ (المتوفى: 486هـ) ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ص 661

[25] الكمال بن الهمام، فتح القدير، دار الفكر، بدون تاريخ، ج6، ص61 .

[26] ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ)، المدخل، دار التراث، القاهرة، دت ، ج2، ص 172 .

واستنادا إلى تلك الفتاوى تضمنت بعض الحمامات الإسلامية فى مصر قسما خاصا لنساء اليهود أطلق عليه اسم " المطبل"[27]، وقد ورد ذكره في بعض وثائق الحمامات مثل حمام العباني وحمام صفر باشا بالإسكندرية، فذكرت وثائق حمام العباني عن وظيفة هذا العنصر أنه "مطبل لغسل نساء اليهود"[28]، أما وثيقة حمام صفر باشا فذكرت في وصف حمام النساء ".. وباب يدخل منه للحرارة بها مغطسين بهما حنفيتين ومغطس كبير صار الآن حنفية وديوان وحمام لليهود ومطبل"[29].

وانعكست تلك الآراء الفقهية أيضا على أسلوب إدارة الحمامات الإسلامية فيما يختص بأوقات دخول نساء أهل الكتاب للحمامات الإسلامية، ففى أغلب الحمامات كان يسمح لنساء اليهود والنصارى بدخول الحمامات الإسلامية فى أي وقت شئن، ولقيت بعض الحمامات رواجا لديهن، فأقبلن عليها حتى أن القائمين على أمر حمام البيسري بخط بين القصرين خصصوا يومين من كل أسبوع لرواده من أهل الذمة رغم معارضة أهل المحلة لذلك[30]، وفي بعض المدن الإسلامية كان قاضى المحكمة الشرعية هو الذي يصدر مرسوما بتحديد الأوقات التى تدخل فيها نساء اليهود والنصارى إلى الحمامات، بحيث لا تتزامن مع الأيام التى تدخل فيها نساء المسلمين[31].

وبالإضافة إلى تضمين بعض الحمامات الإسلامية أقساما خاصة بنساء أهل الكتاب، وجدت بعض الحمامات المخصصة لليهود والنصارى ، وقد عرف هذا الأمر فى العصر الفاطمي فيروى ابن عبد الظاهر أن الحاكم بأمر الله جعل لليهود والنصارى حمامات تختص بهم، وجعل على أبوابها صلبانا، وأشارت الوثائق العثمانية إلى وجود حمامات مستقلة خاصة باليهود ونسائهم حتى لا يختلطن بالمسلمات، أطلق عليها أيضا اسم " المطبل "، ومنها حمام حارة اليهود الذى عرف بالمطبل[32]، وكان بحى بولاق في العصر العثماني حمام لليهود كان يسمى " مطبل اليهود "[33]، ويلاحظ أن عددا غير قليل من هذه الحمامات المخصصة لدخول اليهود والنصارى كان يملكها مسلمون[34] عملوا على استثمار أموالهم فى هذا المجال، ولم يجدوا غضاضة فى تخصيصها لدخول أهل الذمة، وهو تصرف ينم عن مبدأ التسامح والتعايش بين المسلمين وأهل الذمة.

. آراء الفقهاء فى الصلاة فى الحمام وأثرها على عمارته :

اختلف الفقهاء فى حكم الصلاة فى الحمام، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها باطلة وهى رواية عن الإمام أحمد.

القول الثانى : أنها صحيحة مع الكراهة وهو قول للشافعية.

---

[27] المطبل كلمة عبرية تعنى مكان التطهر بالمعبد أو الحمام اليهودي، وتطلق بصفة أخص على المغطس أو الحوض المتسع الذي يتم فيه طقس التطهر عند اليهود، وقد اتسع مدلول الكلمة ليشمل أيضا الحمام المخصص لليهود، انظر، قاموس التحرير العبري العربي، بغداد، 1973م، ص 423.

[28] سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل 127، ص 19، وثيقة 29، بتاريخ 15 صفر 1242هـ.

[29] سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل 159، ص 343، وثيقة 604 بتاريخ 25 ربيع أول 1274هـ .

([30]) محسن شومان، اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، سلسلة تاريخ المصريين رقم 192، القاهرة، 2000م، ج2، ص 308.

[31] منصور محمد عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب ، ص 135، 540 .

[32] على مبارك، الخطط التوفيقية، مطبعة بولاق، 1306هـ، ج6، ص 193 .

[33] عادل شحاته طايع، حى بولاق ثغر القاهرة منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى – دراسة اثرية وحضارية، دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2007م، ص 409 .

[34] على سبيل المثال كان مطبل اليهود ببولاق ملكا لأحد المسلمين، كذلك كان حمام اليهود بحارة اليهود بالقاهرة ملكا للأمير عثمان كتخدا القازدوغلي.

القول الثالث أنها صحيحة بلا كراهة، وقد أباح بعض علماء الأزهر ومنهم ابن نجيم الحنفي الصلاة في مسلخ الحمام من غير كراهة طالما كان مكان الصلاة طاهرا[35]، وأفتوا بأن المصلى " إذا صلى في موضع جلوس الحمامى (المسلخ) لا يكره "، كذلك أفتى الشيخ سليمان الجمل فى حاشيته على منهج الطلاب بأن الحمام الجديد لا تكره الصلاة فيه[36].

وترتب على فتاوى بعض الفقهاء بجواز الصلاة فى مسلخ الحمام بالشروط المذكورة آنفا– فضلا عن حرص أصحاب الحمامات على توفير مكان للصلاة لمرتادى الحمام حتى لا يفوتهم وقت الصلاة ، حيث يقضون ساعات طويلة داخل الحمام[37]، وكذلك اتباعا لما حثت عليه السنة النبوية من استحباب صلاة ركعتين بعد الوضوء، ترتب على هذا كله اشتمال بعض الحمامات على مساجد صغيرة أو مصليات، كان موضعها دائما داخل أحد إيوانات المسلخ تمشيا مع الشروط التى وضعها المجيزون من الفقهاء الصلاة فى مسلخ الحمام، وأشارت بعض الوثائق العثمانية إلي أمثلة لبعض الحمامات التي تضمنت مصلى صغيرا ضمن مكوناتها المعمارية، ومنها " حمام عطيه " بالإسكندرية، حيث ورد بحجة وقف هذا الحمام " ويشتمل الإيوان الأول وهو القبلى على مصطبة ودرابزين خشب فاصل بينه وبين مسجد لطيف بمحراب " [38]، ويلاحظ هنا أن منشئ هذا الحمام وهو الخواجا شمس الدين محمد بن زين الدين عطيه المصمودي ينتمى إلى عائلة مغربية الأصل[39]، مالكية المذهب، ومن ثم أخذ برأى فقهاء مذهبه بجواز الصلاة داخل الحمام، فألحق بحمامه مسجدا صغيرا.

كذلك اشتملت بعض حمامات مدينة فاس على عنصر المصلى، وتميزت بوجود حنية محراب صغير بها، ومن الحمامات الباقية التى احتوت على مصلى فى داخلها أيضا حمام وزير خان فى لاهور بباكستان (لوحة 9) ، وزود المصلى بمحراب مجوف صغير فى جدار القبلة، وفى جدران المصلى تجاويف صغيرة معقودة أغلب الظن أنها كات مخصصة لوضع المصاحف.

. آراء الفقهاء فى شروط الماء الصالح للوضوء وأثرها على تصميم أحواض الوضوء بالحمامات :

اختلفت المذاهب الفقهية فيما بينها فى شروط الماء الصالح للوضوء، فيرى الأحناف كراهة الوضوء من الفساقى والأحواض التى فى المدارس والمساجد والحمامات، كون الماء المستعمل فى الوضوء لا يصح الوضوء به مرة أخرى، فالماء المستعمل عندهم فى حكم الماء النجس[40]، أما الشافعية فلا يرون بأسا من اشتراك أكثر من شخص فى الوضوء من نفس ماء الحوض، وقد انعكس ذلك علي تصميم أحواض الوضوء بالحمامات، فاشتملت بعض الحمامات المملوكية والعثمانية مثل حمام البيسري وحمام قلاوون بالقاهرة على نوعين من الأحواض مخصصة للوضوء[41]، أطلق على النوع الأول منها اسم " حوض حنفي برسم الوضوء "، وعلى النوع الثانى اسم" حوض شافعي برسم الوضوء "، والحوض الحنفي هو الحوض المعد لوضوء مقلدى المذهب الحنفي، ويتميز هذا الحوض باشتماله على لوالب أو بزابيز من النحاس

---

(35) ابن نجيم الحنفي، الفتاوى الزينية، دار كنوز إشبيلية، الرياض، 1432هـ.، ص ص 46-47 .

(36) الجمل، سليمان بن عمر العجيلى الأزهرى (ت 1204هـ)، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، دار الفكر، بيروت، دت.، ج1، ص 444 .

(37) محمد عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية، ص 178، ويذكر دى شابرول أحد علماء الحملة الفرنسية أن رجال الطبقة الحاكمة كانوا حينما يودون الذهاب للحمام يخطرون معلم الحمام، فيكف عن استقبال أى وافد، ويقضون اليوم كله حتى حلول المساء يروحون عن أنفسهم.
انظر، دى شابرول، المصريون المحدثون، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، 2002م، ص 134.

(38) سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل رقم 30، ص 168، وثيقة رقم 370، بتاريخ 18 محرم سنة 1000هـ.

(39) محمد على عبد الحفيظ، حمامات المغاربة بمدينة الإسكندرية منذ بداية العصر العثماني وحتى أواخر عهد الخديو إسماعيل (1517-1879م) دراسة أثرية حضارية، مجلة قنديل، العدد2، سنة 2009م، ص 402 .

(40) ابن مازه، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: 616هـ) المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج1، ص 96.

(41) محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الإجتماعية، ص 271 .

(حنفيات) بحيث يتوضأ كل فرد منها على حدة[42]، أما الحوض الشافعي فهو الحوض المشترك يتوضأ منه أكثر من شخص من نفس مياه الحوض.

رأى الفقهاء فى السترة الشرعية للمرأة وأثره فى تضمين الحمامات خلاوى مستقلة للمرأة:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن حدود عورة المرأة أمام مثيلاتها من النساء من السرة إلى الركبة، وإليه ذهب المالكية والشافعية والحنابلة وهو الأصح عند الحنفية[43]، وشدد الفقيه ابن الحاج علي وجوب ستر المرأة المسلمة السترة الشرعية أمام النساء في الحمام خاصة عند الجلوس فى مقطع الحمام، وحبذ ابن الحاج الخلوة المستقلة للمرأة داخل الحمام فقال " إلا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام، فكأنها حمام مستقل بنفسه، فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر السترة الشرعية "[44]، ويرى المناوي أيضا بأنه إذا كان فى الحمام امرأة غير مسلمة، ودخلت امرأة مسلمة وانفردت بخلوة الحمام فيجوز ذلك، لما يتوفر فى الخلوة من خصوصية لها[45].

وتطبيقا لتعاليم الدين الإسلامي بحرمة كشف النساء المسلمات بعض الأجزاء من أجسادهن حتى بين أقرانهن المسلمات ناهيك عن المترددات غير المسلمات، فقد تضمنت الحمامات الإسلامية فى مصر خلوات جانبية خاصة لمن ترغب فى استئجارها من النساء، وبعض الحمامات خصصت خلوات لتجميل العرائس، عرفت باسم " خلوة العرائس"، أو " بيت العرائس"، ومن أمثلتها الباقية حمام سيدى بومدين بالمدينة القديمة بالجزائر[46]، وجاء فى وصف مكونات حمام عطية بالإسكندرية " ... وفى جهته القبلية خلوة معدة للعرايس بها خزانتان يغلق على كل خزانة منهما باب مربع من الخشب النقي "[47].

بيت النورة :

اشتملت بعض الحمامات الإسلامية على حجرات أو خلوات مخصصة لإزالة الشعر عرفت باسم " خلوة النورة "، أو " بيت النورة " أو " مقصورة النورة"، والنورة مادة تستخدم لإزالة الشعر تتكون من الجير ونسبة قليلة من كبريتيد الزرنيخ، وكان المحتسب يشرف على تركيب هذه المادة ونسبة الزرنيخ بها لأنها لو زادت عن الحد المسموح به وهو الثمن فقد يتسبب فى إحداث أضرار جسيمة، وكانت عملية إزالة الشعر تتم في إحدى الخلوات بالقسم الأوسط من الحمام " بيت أول "، وأحيانا في القسم الثالث من الحمام " بيت الحرارة "، فقد ورد فى وثيقة السلطان الغورى فى وصف حمام بجزيرة أروى[48] " يتوصل من الدهليز إلى بيت حرارة به أربعة أواوين بكل واحد منها حوض حجر، وبه أيضا خلوتان وطهر وبيت نورة مفروش ذلك كله بالرخام الملون خلا بيت النورة فإنه مبلط "[49]، وجاء فى وصف حمام عطيه بالإسكندرية " دهليز به مسطبة على يسرة الداخل برسم الجلوس وخلوة برسم الطلا بالنورة بها حوض واحد يغلق عليها درفة باب من الخشب "[50] ، وورد فى

---

(42) محمد أمين، ليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، القاهرة، 1990م، ص 38 .

(43) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م.، ج10، ص 254 .

(44) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 172 .

(45) المناوي، عبد الرؤوف المناوى ، كتاب النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1987م، ص 64.

(46) موساوى عربية، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني، دراسة آثارية معمارية، ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991م، ص 90.

(47) سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل رقم 30، ص 168، وثيقة رقم 370، بتاريخ 18 محرم سنة 1000هـ.

(48) تعرف بالجزيرة الوسطى لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة، وهى إحدى جزيرتين تكونت منهما منطقة الزمالك الحالية، وكانت من أهم متنزهات القاهرة في العصر المملوكي، انظر المقريزي، الخطط، ج3، ص 326.

(49) عبد اللطيف إبراهيم، سلسلة الدراسات الوثائقية (1)، الوثائق فى خدمة الآثار " العصر المملوكي"، ضمن كتاب " دراست فى الآثار الإسلامية"، القاهرة، 1979م، ص 457.

(50) حجة وقف حمام عطية، سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل 30، ص 169، وثيقة 370 بتاريخ 18 محرم سنة 1000هـ، محمد عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية، ص 176 .

وصف مكونات بيت الحرارة الأول بحمام العبانى بالإسكندرية " ... وباب حرارة أول يدخل منه إلى دهليز به مصاطب من الرخام، وباب ثانى يدخل منه إلى دهليز وأربعة بيوت لإزالة الشعر "[51].

ومن أمثلة الحمامات الدمشقية التى تضمنت فى عمارتها " مقصورة النورة" ، حمام العفيف (مندثر): وكان يشتمل على مقصورة النورة بالقسم بالوسطانى الثانى، وحمام الجوزة بحى سوق ساروجة ، وبه مقصورة النورة بالقسم الوسطانى، وحمام الخانجى فى حى سوق ساروجا، وبه مقصورة للنورة تقع فى أحد جوانب الجوانى، وحمام منجك فى حى الكلاسة ، وتقع مقصورة النورة به بالوسطانى الأول، ومنها كذلك حمام العقيل بحى الميدان، وحمام التوتة بحى الميدان الفوقانى ، وحمام الورد بحى سوق ساروجة، وحمام العمرى بحى العقيبة.

وكان بيت النورة يشتمل غالبا على جرنين " حوضين صغيرين "، بأحدهما محلول النورة المؤلف من الكلس والزرنيخ، والثانى لسكب الماء منه بعد أن يدهن المستحم جسمه من ذلك الخليط .
والحقيقة أن تخصيص حجرة " بيت النورة " في بعض الحمامات الإسلامية كان ترجمة لما ورد بشأن " النورة " في السنة النبوية من الحث على استعمال " النورة"، وقد عقد السيوطي في كتابه " الحاوى للفتاوى " فصلا سماه " الأخبار المأثورة في الإطلاء بالنورة " بين فيه حكم الإطلاء بالنورة، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين استعملوا النورة، وأورد بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الأمر منها حديث عائشة الذي أخرجه الإمام أحمد قالت: «أطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة، فلما فرغ منها قال: يا معشر المسلمين، عليكم بالنورة؛ فإنها طيبة وطهور، وإن الله يذهب بها عنكم أوساخكم وأشعاركم "[52].

الخلاوى المخصصة للمستحمين المرضى ومرافقيهم :

أفتي الفقهاء في العصر العثماني بإمكانية أن يقوم معاون من محارم المستحم المريض بمساعدته فى الاستحمام، فالمريض المعاق مثلا أو الرجل المسن بإمكانه أن يحضر معه إلى الحمام شخصا مساعدا له يقوم بمساعدته في الاستحمام، وكان لهذا التوجيه من الفقهاء أثر في إنشاء خلاوى جانبيه بالحمامات تفي بهذا الغرض، ومن ثم انتشرت هذه الخلاوي في حمامات العصر العثماني[53].

حوانيت السدر[54] الملحقة بالحمامات الإسلامية :

تشير وثائق الحمامات إلى أن بعض الحمامات الإسلامية كان على واجهتها حوانيت لبيع ورق السدر، فورد فى وثيقة حمام الدود بالقاهرة فى وصف الواجهة البحرية للحمام " ... بها بابان أحدهما برسم حانوت يشتمل على باب ومسطبة وداخل تعرف بحانوت السدر "[55] .

ويبدو أن تضمين بعض الحمامات لهذه الوحدة المعمارية كان استجابة لما أشار إليه بعض الفقهاء – أمثال العيني والسيوطي[56] وغيرهم – إلى استحباب استعمال المرأة الحائض السدر فى غسلها، واستدلوا على ذلك بحديث عائشة رضى

---

[51] سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل رقم 127، ص 19، وثيقة رقم 29، بتاريخ 15 صفر 1242هـ .
[52] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الحاوى للفتاوي، دار الفكر، بيروت، 2004م.، ج1، ص 403
[53] محمد عبد الستار عثمان، فقه عمارة الحمامات فى العصر العثماني، ص 285.
[54] السدر هو شجر النبق، وكان ورق السدر يستعمل فى العصور الوسطي بدلا من الصابون فى غسل الثياب والأوانى وإزالة الأوساخ العالقة بالجسد، ويكون له رغوة إذا خلط بالماء.
[55] وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم 888 أوقاف، ص 38، سعاد محمد حسين، الحمامات فى مصر الإسلامية، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1983م، ص 376.
[56] بدر الدين العيني، شرح سنن أبو داوود، مكتبة الرشد، الرياض، 1999م، ج2، ص 111 .

الله عنها أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسل الحيض فأمرها أن تغتسل بماء وسدر، وحديث أم قيس بنت محصن، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دم الحيض يصيب الثوب، فقال: «اغسليه بالماء والسدر وحكيه بضلع"[57].

ولم يكن استعمال السدر قاصرا على النساء، فكان الرجال أيضا يستعملونه بعد خلطه بالماء ويتدلكون به[58]، وأشار السيوطي إلى الفوائد الطبية للسدر فذكر أن " صب الماء الحار لا سيما المغلي فيه السدر ينفع الحميات عموما، لأنه يخرج أبخرة الدماغ بسبب انصبابه على الرجلين وهو مشهور عند الأطباء"[59] .

. ضرر الدخان وأثره على عمارة الحمام :

تناول الفقهاء فى كتاباتهم ضرر الدخان الناتج عن وقود الحمامات، وأفتى الشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالأزهر بوجوب منع إحداث دخان الحمامات إذا كان مضرا بالجيران، لأنه يؤدي إلى تسويد الثياب والحيطان[60]، ولتلافي حدوث ضرر الدخان بأكبر قدر ممكن كان مستوقد الحمام يبنى ملاصقا لمكان متسع مكشوف تابع للحمام يسمى " المنشر "، بحيث يتم تسليط دخان الحمام على هذا الفضاء الواسع، كما روعى أن تبني فوق المستوقد مداخن مرتفعة ارتفاعا كبيرا لتصريف الدخان المتصاعد من المستوقد، ونرى أمثلة لهذا المداخن المرتفعة ما زالت باقية ببعض الحمامات فى العالم الإسلامي، مثل حمام خواند خاتون بمدينة قيصرى بتركيا، وحمام الشيخ إبراهيم باشا (لوحة 8) وحمام المصري بالإسكندرية[61] .

ضرر الكشف وأثره على عمارة الحمام :

يعتبر منع ضرر الكشف من أقوى الضوابط الفقهية فى العمارة الإسلامية، وهو ينبع من حرص الإسلام على حفظ عرض المسلم، وحرمته مقصد من مقاصد الإسلام، كما يتعلق هذا الضابط بحق الجوار فى الإسلام، وألا يتسبب الجار فى إلحاق أى نوع من الأذى أو الضرر بجاره، وضرر الكشف يعنى الإطلاع على الجار عن طريق باب أو كوة أو نافذة أو روشن، كما يحدث الكشف المضر أيضا عن طريق السطوح ومطالعها، والمآذن أو نتيجة البناء على أرض مرتفعة عما جاورها[62] .

كان لأحكام ضرر الكشف أيضا أثرها على عمارة الحمام، فكانت مداخل الحمامات تبنى منكبة بالنسبة لمداخل المنشآت المقابلة، فلا يكون مدخل الحمام مقابلا أبدا لمداخل المنشآت الأخرى خاصة المنشآت السكنية، كما جعلت مداخل الحمامات من النوع المنكسر، بحيث يكون الداخل والخارج فى منأى عن أعين المتطفلين، كما هو الحال فى مدخل حمام بشتاك بسوق السلاح بالقاهرة(لوحة 1)، ومدخل حمام السكرية بجوار باب زويلة بالقاهرة، ومدخل حمام السلطان إينال بشارع المعز بالقاهرة، كذلك ندر فتح نوافذ فى جدران الحمامات لعدم الإطلاع على من بداخل الحمام، واستعيض عنها

---

[57] ابن حبان، الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ج4، ص 240 ، والضلع : العود الذى فيه عرض واعوجاج .

[58] الأقفهسي، شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي، القول التمام فى آداب دخول الحمام، تحقيق، محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ص 102 .

[59] السيوطي، مصباح الزجاجة شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، دت، ص 248 .

[60] محمد عليش المالكي الأزهري، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت 1989م، ج6، ص 320 .

[61] انظر، محمد على عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية، ص ص 89-95 .

[62] للمزيد عن هذا الموضوع انظر، محمد عبد الستار عثمان، أحكام ضرر الكشف وآثارها على العمارة الإسلامية، بحث منشور ضمن كتاب " دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية"، ج2، القاهرة 2001م، ص ص 107- 140 .

بفتحات صغيرة فى قباب الحمام مغشاة بالزجاج الملون يطلق عليها اسم " مضاوى "(لوحة 2) ، وهذا الأمر يحقق إلى جانب تجنب ضرر الكشف، عدم الإضرار بمن داخل الحمام نتيجة التيارات الهوائية الباردة[63].

نصب الصور فى الحمام: اختلفت آراء الفقهاء فى حكم نصب الصور فى الحمام، حيث تسامح بعض الفقهاء فى وجود الصور فى الحمام على اعتبار أنها فى موقع المهانة مما ينفى عنها شبه القداسة[64]، قال الرافعي: إن نصب الصور في حمام أو ممر لا يحرم، بخلاف ما كان منصوبا في المجالس وأماكن التكريم، أي لأنها في الممر والحمام مهانة، وفي المجالس مكرمة، أما ابن قدامة الحنبلي صاحب كتاب " المغني" فيرى أن نصب الصور في الحمام ونحوه محرم، وذكر الإمام الغزالي فى كتابه " إحياء علوم الدين"الصور ضمن منكرات الحمام، وقال إنها منكر تجب إزالته، على كل من يدخله إن قدر عليها[65] .

هذا فيما يختص بتصوير ما فيه روح، أما ما دون ذلك فلا خلاف عليه بين الفقهاء، بل استحب بعض الفقهاء والحكماء والأطباء أن تنقش جدر الحمام بالصور البديعة كالأشجار والثمار والدروع والسيوف والقسي والرماح والقلاع والحصون والبحار والسفن والوحوش والحيتان والأطيار المغردة وغير ذلك[66]، وقالوا بأن مثل هذه التصاوير تقوية لجميع قوى البدن الحيوانية والنفسانية فلأجل ذلك تحصل الراحة بالنظر فيها عند الإتكاء، الأمر الذى يفرح النفس وينشطها، ويزيل الهموم والأفكار السوداوية.

ويبدو أن آراء الفقهاء الخاصة بتحريم التصاوير الآدمية أو صور الكائنات الحية فى الحمامات، كان لها أثرها فى خلو كثير من الحمامات فى العالم الإسلامي من مثل هذه التصاوير، حيث لا نجد فى المصادر التى تحدثت عن الحمامات، أى إشارة إلى وجودها، كما أن الرحالة الذين زاروا هذه الحمامات ، ووصفوها وصفا دقيقا لم يشيروا إلى وجود أى نوع من التصاوير بهذه الحمامات[67]، ومن ثم اقتصرت زخرفة جدران بعض الحمامات اعلى التكسيات الرخامية بالرخام الملون والمجزع، كما هو الحال فى الحمامات المصرية والسورية، أو استخدام البلاطات الخزفية كما هو الحال فى بعض الحمامات فى بلاد المغرب والأندلس، وبعض الحمامات السلجوقية والعثمانية ببلاد الأناضول، فضلا عن استخدام الفسيفساء الرخامية فى زخرفة الجدران والفساقى والأرضيات بتشكيلات زخرفية هندسية ونباتية.

واستجابة لآراء الفقهاء، نقشت بعض جدران الحمامات في العالم الإسلامي بالزخارف الخالية من الرسوم الآدمية، ورسوم الكائنات الحية، ونكتفى هنا بنموذج واحد يتمثل فى حمام وزير خان بمدينة لاهور بباكستان، حيث نشاهد فى هذا الحمام أروع الزخارف المنفذة بطريقة الفريسكو، أهمها تلك التى تكسو جدران القاعة الباردة بهذا الحمام (لوحة 10)، التى تاخذ شكلا مثمنا تغطيها قبة مركزية كبيرة، ويحيط بها أربع إيوانات عميقة يغطى كلا منها نصف قبة، وتعتبر باقات الزهور من أكثر التصميمات الزخرفية المستخدمة فى زخرفة جدران هذه القاعة، وتتنوع أشكال الفازات التى تخرج منها الزهور ، فمنها الكمثري الشكل، ومنها المستدير، ومنها البيضاوي، واشتملت الزخارف أيضا على عدد كبير من الفواكه موضوعة داخل أطباق واسعة، ومن أهم الفواكه التى رسمت التفاح والرمان والكمثرى والموز والمانجو والعنب والبطيخ والشمام والبلح (لوحة 11)، ويرى الدكتور كامل ممتاز أن هذه الرسوم تخلق جوا من البهجة وتعطى للمشاهد إحساسا بالجنة ونعيمها الذى لا ينقطع ، حيث نرى فيها فواكه لمختلف فصول السنة [68].

([63]) بلحاج طرشاوى، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبى بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، 2007م، ص 42 .

[64] محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص 299.

[65] الموسوعة الفقهية الكويتية، ج12، ص 120 .

[66] خالد عزب، فقه العمران، العمارة والمجتمع والدولة فى الحضارة الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2013م.، ص 421.

[67] محمد سيف النصر أبو الفتوح، ص ص 302، 303.

[68] Mumtaz , Kamil , Khan , Reading Masjid Wazir khan , p 63 .

ومن الرسوم النباتية التى نفذت بهذا الحمام أيضا رسوم أشجار السرو، حيث نراها فى زخرفة الدخلات الأربعة الصغيرة المحيطة بالقاعة المثمنة، واستخدمت على نطاق واسع فى زخرفة الجدران والقباب وأنصاف القباب زخارف هندسية عرفت باسم " غالب كارى "، وهو نوع من الزخارف الهندسية القالبية المصنوعة من الجص على شكل معينات تتداخل مع مثلثات ، وأحيانا تشغل هذه المناطق الهندسية بزخارف أرابيسك أو رسوم أغصان قصيرة، ويوجد بكوشات عقود الإيوانات الأربعة المحيطة بالقاعة المثمنة رسم ملاك مجنح يسبح فى الهواء ، وعلى رأسه تاج ويرتدى ملابس فضفاضة يتطاير من نهايتها أشرطة عريضة ، وقد نفذت هذه الزخرفة بطريقة الفريسكو فى كوشات عقود الإيوانات الأربعة المحيطة بالقاعة المثمنة بالقسم الشمالى من الحمام.

. أسس تصميم الحمامات فى كتابات بعض الفقهاء :

تناولت المؤلفات الفقهية الخاصة بالحمامات ما أسماه الفقهاء " صفة الحمام الفاضل "، تضمنت آراء بعض الفقهاء فى المواصفات المعمارية القياسية التى ينبغى توافرها فى الحمام، فيذكر الشيخ بدر الدين القوصونى[69]، فى رسالته المسماه " مقالة فى الحمام" " قد ثبت أن الحمام لابد أن يكون موضعا يشتمل على خلوات حتى يسهل التعرى فيه للإغتسال، فلابد وأن يكون هذا الموضع بحيث يمتنع نفوذ الرياح إليه، وإلا كان يرد هواء، فلذلك يمنع فيه من الطاقات والكوى والأبواب المتفتحة إلى جهات الرياح، ولابد أن تكون جدرانه كثيفة لتمنع نفوذ الهواء البارد والرياح، ولذلك ينبغى أن يكون مبنيا بالحجارة ونحوها، وإذا كان الحمام متخذا لشخص معين، فيجب أن يكون سخونته بالقدر الذى يليق بمزاج ذلك الشخص، وإن كان متخذا للناس عامة أحتيج أن يكون ذا بيوت ليكون بعضها أسخن من بعض، فيكون كل بيت منها ملائمة لمن أمزجتهم ملائمة لهواه"[70].

ويعدد القوصونى مواصفات الحمام الجيد فيقول" وأفضل الحمامات ما اجتمع فيه أوصاف منها أن يكون متسع الفضا لأن الهواء يكون فيه كثيرا، فيكون خروج النفس ودخوله سهلا، فإن الحمام الصغير جدا يكون خروج النفس ودخوله فيه عسيرا، لأن الهواء الذى يكون فيه قليلا ... ودخول النفس إنما يكون بأخذ شئ من ذلك الهواء فيبقى الباقى غير واف على المكان، وأن لا يكن حرارته شديدة، ولذلك أيضا إذا جلس الإنسان فى البيت الصغير عسر نفسه، وينبغى ألا يكون الحمام مفرط الاتساع فإن ذلك مما يفسد معه تسخينه، ومنها أن يكون قديم البنا، ونعنى بذلك أن يكون متوسطا فى المدة، وذلك أن من الحمامات ما هو قريب العهد جدا بالبنا، ومنها ما هو قديم قد طال العهد ببنائه، ومنها ما هو متوسط بين ذلك القديم جدا والحديث، والأفضل المتوسط وذلك لأن الجديد عهده بالصهرجة قريبا فيكون هواه متكيف بكيفيته فيكون استنشاقه بالنفس رديئا ضارا بمزاج القلب ... ومنها أن يكون عذب الماء فإنه إذا كان كذلك فإنه يبرد ويرطب إذا جلس فيه قليلا... ومنها أن يكون كثير الضياء ليكون الضياء مفرحا للقلب، معينا على تحليل الفضلات ... وينبغى أن يكون وقود الحمام بالحطب الخالى عن الحدة والدخان والرائحة الردية، قيل وينبغى أن يسخن بأغصان السمسم، وأغصان القطن، ويتجنب تسخينه بكساحة الطريق والزبل ونحو ذلك، وينبغى أن تكون حياض الحمام متسعة تغطى أكثر البشرة، ليكون الترطيب عند الجلوس فيها متشابها فى البدن ، ولابد من تجديد ماء الحوض لكل وارد لئلا يكون بأحدهم مرض يعدى الواردين بعده، وينبغى أيضا أن يكون مسلخه مشتمل على مواضع تصلح للاضطجاع فيها فإن ذلك مما يحتاج إليه بعد الخروج خاصة للمرضى ... ومنها أن يكون فى المسلخ بركة ذات أنابيب يرتفع ماؤها بقدر صالح، فإن ذلك مما يسعد

---

[69] هو الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني الحنفي، رئيس الأطباء بباب السلطان العثماني، ولد بمصر سنة 920هـ ، وكان ذكيا حاذقا فاضلا، لذلك استقدمه السلطان العثماني سليمان بن سليم إلى استنبول فى سنة 955هـ، ليعالجه من النقرس ، ونجح فى علاج السلطان، وأصبح من أطبائه المقربين، وولاه رئاسة الحكماء، وظل رئيسا للأطباء فى عهد السلطان سليم الثاني، وتوفى باستنبول سنة 976هـ، وقد ألف القوصوني " مقالة فى الحمام " بطلب من أبى الحسن البكري الصديقي .

[70] بدر الدين القوصونى، مقالة فى الحمام، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 243 جغرافيا، ص 6 .

القلب والنفس، فيتدارك بذلك الضعف الحادث عن التحلل ، ويستحب أن يكون المسلخ مطلا على بعض البرك أو البساتين"[71].

أما الشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت 1051هـ) أحد علماء الأزهر فى القرن السابع عشر فقد أوجز فى شرحه على كتاب الإقناع المسمي " كشاف القناع عن متن الإقناع "، مواصفات الحمام الجيد نقلا عن فقهاء الحنابلة فقال" وأجود الحمامات: ما كان شاهقا عذب الماء معتدل الحرارة، معتدل البيوت، قديم البناء"[72].

ويعتبر الشيخ عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ) من أكثر الفقهاء الذين أفاضوا فى الحديث عن المواصفات المعمارية التى ينبغى أن يكون عليها الحمام، وذلك من خلال كتابه " النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية"[73]، حيث خصص بابا في القسم الثاني من هذا الكتاب للحديث عن هذا الموضوع ، ووضع له عنوان " فيما ينبغى أن يكون عليه من الهيئة والشكل والكيفية" ، وضع المناوي سبعة عشر شرطا يجب أن تتوافر فى مواصفات الحمام، وسنلاحظ أن أغلب المواصفات التى ذكرها المناوي قد نقلها نقلا حرفيا عن رسالة القوصوني " مقالة في الحمام "، وهى على النحو التالي:

. الأول: أن يكون مسدود المنافذ ليس فيه طاقات ولا كوات ولا أبواب مفتحة، لأنه موضع مشتمل على ماء جار وهواء حار، وإذا كان فيه منافذ يرده الهواء فيخرج عن موضعه.

– الثاني: أن تكون جدره كثيفة بحيث تمنع تطرق الهواء من خلالها، بأن يكون مبنياً بالحجر الصلب لا بنحو طين و مدر[74].

– الثالث: أن يكون رفيع البناء لتصعد الرطوبات وتنبسط، فيصفو في مدة الصعود، فينقلب الهواء، وتلطف البخارات الصاعدة إلي الأعلي.

– الرابع: أن يكون واسع الفضاء ليصفو هواؤه باتساع محالّه، وتتفرق فيه الحرارة ولاتنحصر الأنفاس المختلفة فيه، ويكون خروج النفس ودخوله سهلاً، و يرق فيه الهواء ويتخلص من الكثافة بخلاف الضيق ، فيقل هواؤه و يتكدر صفاؤه، فيعسر خروج النفس ودخوله فيه، وخروج النفس إنما يكون بإيراد هواء آخر على هواء الحمام.

– الخامس: أن يكون كثير الضياء والنور، وذلك ليس إلا بأن يتخذ له جامات من زجاج شفاف فيقوي الشعاع فيه ، وذلك لما مر أن الحمام يتعين ألا يكون فيه منافذ لينحصر الهواء فيه، ويستمر الماء حاراً ، وبذلك يكون مظلماً فيحتال علي حصول الضوء فيه بإحداث كوات تسد بأجسام شفافة غير مانعة من نفوذ الضوء مع منعها من نفوذ الهواء والرياح، واعلم أنهم استحبوا كونه كثير الضياء لأنه إذا كان كذلك يفرح القلب، ويعين على تحليل الفضلات، وأما القليل الضوء فيفعل ضد ذلك.

– السادس: أن يكثر ازورار دهاليزه وانعطافها، ويحكم طبق أبوابها جدا لتمكث الحرارة ، ولا يجعل بابه إلي الجنوب، وأما ما يجعل من ستر الأبواب من نحو اللباد والبسط فى الشتاء فردئ مذموم.

– السابع: أن يستر جدره بالبياض المحكم حذراً من دخول الهواء.

– الثامن: أن يكون قديم البناء، أي بأن يكون له سبع سنين فأكثر كما قال بعضهم ، لأن الجديد غير معتدل المزاج لبرد أحجاره وطينه ويبسها وافتقارها إلي الرطوبة والحرارة، فلا تقوى على التحليل، نعم شرط بعضهم أن لا يكون بالغا فى القدم،

([71]) بدر الدين القوصوني، مقالة فى الحمام، ص 6- 9 .

([72]) البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج1، ص 158 .

([73]) عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م، ص ص 57-63 .

([74]) المدر: الطين الذى لا يخاطه رمل.

فإن بناءه لا يخلو من تخلخل فيدخل الهواء منه ويخرج، ولأنه مظنة كثرة الحشرات وذوات السموم، فتحدث فى المياه ضررا.

– التاسع: أن تكون أرضه بالرخام الملون لما في مقاومة برده للحر، ولأن صلابته تعكس البخار بسرعة فيتصاعد فيلطف الهواء، ولما في النظر إليه من تفريح النفس الموجب لسرعة التحليل، بخلاف فرشه بالأحجار الرخوة والبلاط أو المدر أو التراب أو الخشب.

– العاشر: أن تكون جميع بيوته حتي المسلخ جامعة للأشكال المفرحة، وأن تنقش جدره بالصور البديعة كالأشجار والثمار والدروع والسيوف والقسي والرماح والقلاع والحصون والبحار والسفن والوحوش والحيتان والأطيار المغردة وغير ذلك بأصباغ مختلفة الألوان، لأن الحمام يحلل القوي والنظر إلي ذلك يجبر ما تحلل. ويقسم ذلك التصوير إلي ثلاثة أقسام متغايرة لأن أرواح البدن وقواه ثلاثة: نفسانية وطبيعية وحيوانية فيكون كل واحد من التصاوير سبباً لإنعاش كل واحد من القوي ويرد ما تحلل منه. فللقوي النفسانية نحو صورة العاشق والمعشوق ، وللطبيعية نحوالبساتين وصور الأشجار والأزهار، وللحيوانية آلات الحرب وصفة الفرسان والشجعان، هذا ما استنبطه الحكماء بأفكارهم و اقتضته القواعد الطبية، ولكن جاء الشرع بتحريم تصوير ما فيه روح لمضاهاته لخلق الله، و فيما عداه غنية وتحصيل للمقصود من تقوية القوي ورد التحلل.

– الحادي عشر: أن يعذب ماؤه كما أشار إلي ذلك ابن سينا في القانون بقوله: " خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وعذب ماؤه"، وذلك لأن العذب يبرد ويرطب أكثر بخلاف الملح فإنه لايخلو من أجسام غريبة تؤذي البدن كالكبريتية والنطرونية.

– الثاني عشر: أن يكون الحمام نظيفاً وكذا ماؤه نظيفاً غزيراً لتنتعش به الروح وترتاح النفس وتتراجع القوي، وأن تكون الحياض والمغاطس متسعة عميقة، بحيث تستر أكثر البشرة ليكون الترطيب عند المكث فيها متساوياً في البدن، فيجب أن يتعاهده بالتنظيف بحسب الحاجة ، ويزال ما فيه من المياه ويجدد لئلا يفسد فيضر ، بل الأحوط أن يجدد ماء الحوض والمغطس لكل وارد حذراً من أن يكون به مرض فيؤذي من نزل فيه بعده، وينبغي أن يكون فيه حوض يحوي ماء بارداً ليترطب به عند الحاجة.

– الثالث عشر: أن يكون فيه من البخور والروائح الطيبة لترتاح الروح، ويرد علي القوي الثلاثة ما تحلل منها.

– الرابع عشر: أن يكون مصوناً عن الدخان والغبار ما أمكن، فإنهما يؤديان إلي الهرم والسقم وذلك بإحكام بنائه وإبعاد المستوقد عنه، وتسليط دخانه علي الفضاء الواسع ، ويتحري بالمستوقد أبعد المواضع عن المسلخ لتكون الحرارة سارية منه في البيوت علي التدريج والترتيب، وقد قال المسيحي[75] وغيره: " يحترز أن يخالط هواء الحمام دخان، فإن دخول الدخان من خارجه مضر جداً، جالب لأمراض منها الغشي[76] وغيره".

– الخامس عشر: أن يكون له مسلخ توضع فيه الثياب و يجلس فيه الخارج من الحمام للاستراحة ، لما سيجيء من أن الإنسان لابد أن يأخذ راحته فيه، ويمكث زمناً لئلا يهجم عليه من حر الحمام إلي برد الهواء دفعة واحدة فيكون سبباً لأمراض كثيرة، وينبغي أن يكون في المسلخ بركة ذات ماء وأنابيب يرتفع الماء منها بقدر صالح، فإن ذلك ينعش الروح ويروح القلب، فيتدارك بذلك الضعف الحادث عن التحلل ونحوه، فإن أمكن أن يكون مطلاً علي نهر أو بركة أو بستان كان أبلغ في النفع.

([75]) هو أبو سهل عيسى ابن يحيى المسيحي الجرجاني، طبيب بارع فى صناعة الطب، توفى عن أربعين سنة، انظر، المناوى، النزهة الزهية، ص 61 .

([76]) أى الإغماء .

– السادس عشر: أن يكون وقوده بما ليس فيه كيفية رديئة كالحطب الخالي عن الحدة والدخان والرائحة الكريهة ، فيجتنب الزبل ونحوه من كساحة الطرق ، فإن بخار الحمام هو ما يوقد في الأتون[77] ، فإن كان الوقود جيداً كان البخار جيداً، ويفضل أن يسخن الماء بأغصان المشمش أو أغصان القطن.

– السابع عشر: أن يشتمل علي بيوت ثلاثة غير المسلخ مختلفة الحرارة ، فيكون بعضها أسخن من بعض. بيت أول معتدل الحرارة كثير الرطوبة ليلطف تحليله، و تأنس به الأمزجة لقربه من الفضاء الذي هو المسلخ بحيث لا يحس فيه بحر و لا برد. ثم بيت آخر هو أقوي حرارة من الأول لكنه غير مكرب، ثم بيت ثالث حرارته فوق الثاني ، كثير الحياض والمغاطس المستديرة الغامرة للبدن لتناسب التحليل بالمكث فيها. هذه البيوت الثلاثة يجب أن تكون مترتبة في الحرارة ، الأول فالثاني فالثالث ليكون كل بيت منها مناسبا لمزاج من يلائمه ، وليكون الدخول بالتدريج ، فلا يهجم من شديد البرد علي شديد الحر دفعة واحدة فيؤذي البدن، وما تقرر من أن وضع الحمام على ثلاثة بيوت هو ما فى غالب الأمصار، لكن عمل أهل مصر على جعلها بيتين، فالأول منها تبريده وترطيبه أقل من الأول فى ذوى الثلاث، لأن قربه من الهواء الخارج يفيده بردا ورطوبة، لكن ماءه لا يضعف سخونته ذلك الضعف لقربه من محل النار، وبذلك يقل تبريده وترطيبه، ويميل إلى التسخين والترطيب، والبيت الثانى منهما يشبه الثالث، من ذوى الثلاث لقربه من محل النار، ولكن تجفيفه وتسخينه أقل من ذى الثلاث لقرب الهواء الخارج "[78].

ومن خلال هذه النصوص التى أوردناها لأقوال الفقهاء يمكننا تحديد المواصفات المعمارية القياسية التى يفضل أن تتوافر فى الحمام على النحو التالي:

- الإتساع : أن يكون الحمام متسعا لامكانية التنفس الصحيح، ولا يستحب الإتساع المفرط.
- أن تكون جدرانه سميكة حتى تمنع نفاذ الهواء إلى داخل الحمام.
- يفضل أن تكون مادة البناء من الحجارة .
- أن يكون كثير الدهاليز، وأن تكون هذه الدهاليز كثيرة الإزورارت والإنعطافات، لتمكث الحرارة داخل الحمام.
- يفضل ألا يجعل باب الحمام إلي جهة الجنوب.
- أن تكون جدرانه مكسوة بكسوة من البياض السميك لتمنع الهواء من النفاذ إلى داخل الحمام .
- أن يخلو من النوافذ والأبواب والفتحات خاصة فى الجهات التى تأتى منها الريح حتى لا يتعرض المستحمون لتيارات الهواء البارد.
- أن يكون مسلخه مشتملا على مواضع للإسترخاء عليها.
- يفضل أن يكون المسلخ مطلا على نهر أو بركة أو بستان.
- أن يشتمل المسلخ على فسقية أو نافورة للمياه للاستمتاع برؤيتها.
- أن تكون أرضياته مفروشة بالرخام .
- يفضل كسوة جدرانه بالبياض المحكم
- أن يكون سقفه مرتفعا حتى يسهل التنفس.
- أن يكون معتدل الحرارة.
- أن يكون عذب الماء.
- أن تكون حياض الحمام متسعة .

([77]) الأتون، موقد نار الحمام، انظر المناوى، النزهة الزهية، ص 61.

([78]) عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص ص 57-63

- توفير المقومات الجمالية من رسم الصور على الجدران ووضع جامات الزجاج الملون في القباب .
- أن يبنى المستوقد فى أبعد مكان عن المسلخ، وأن يكون معزولا عن بيوت الحرارة فى الحمام.
- توفير الإضاءة الطبيعية الكثيرة عن طريق الجامات المصنوعة من الزجاج المتعدد الألوان.

ومن العرض السابق يتضح لنا أن الحمامات الإسلامية شأنها شأن العمائر الإسلامية الأخرى تأثرت بالقيم والضوابط الدينية، سواء من ناحية التخطيط ، أو من ناحية الوحدات والعناصر المعمارية، فجاءت كلها معبرة عن الفكر المعماري الإسلامي، الذى يقوم على المبادئ والقيم الدينية التى استنبطها الفقهاء من مصدري التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ليؤكد على هوية هذه العمارة، لتستحق أن يطلق عليها بالفعل " العمارة الإسلامية" .

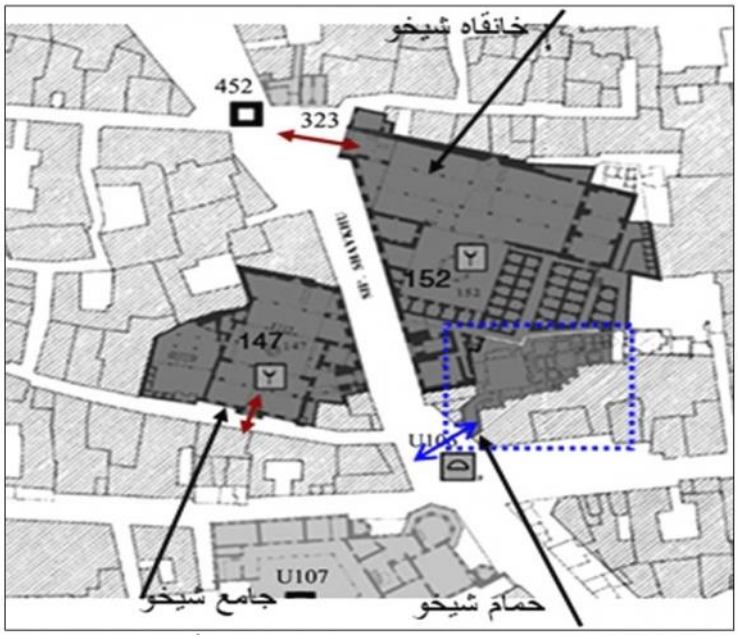

شكل 1: خريطة توضح موقع حمام شيخو بالصليبة خلف الخانقاة

عن : رولى رفعت أبو خاطر

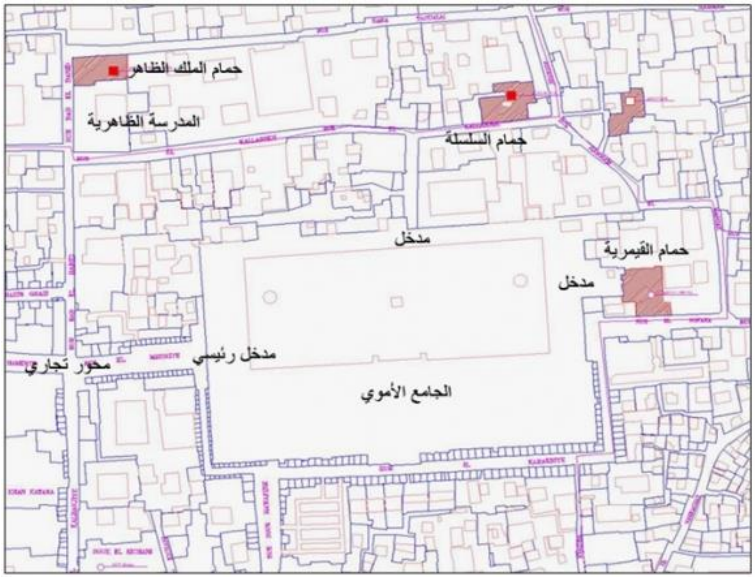

شكل 2: موقع الحمامات المحيطة بالجامع الأموي فى دمشق

عن : رولى رفعت أبو خاطر

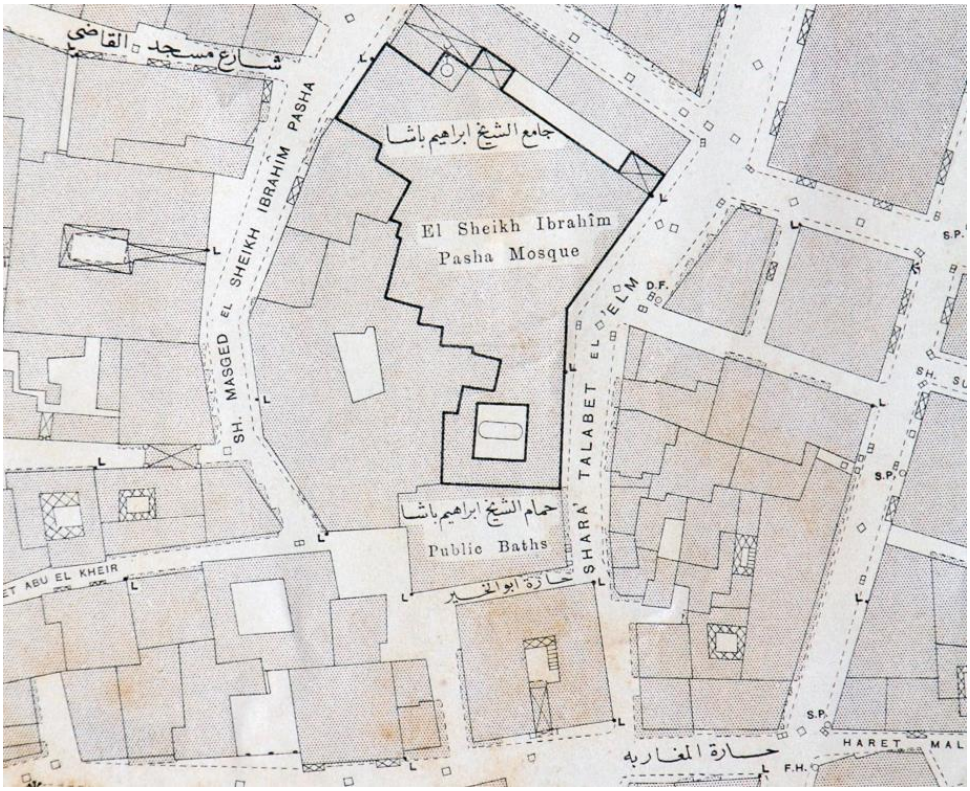

شكل 3 : خريطة توضح موقع حمام الشيخ ابراهيم باشا بالمنشية بالإسكندرية، عن : مصلحة المساحة 1911م

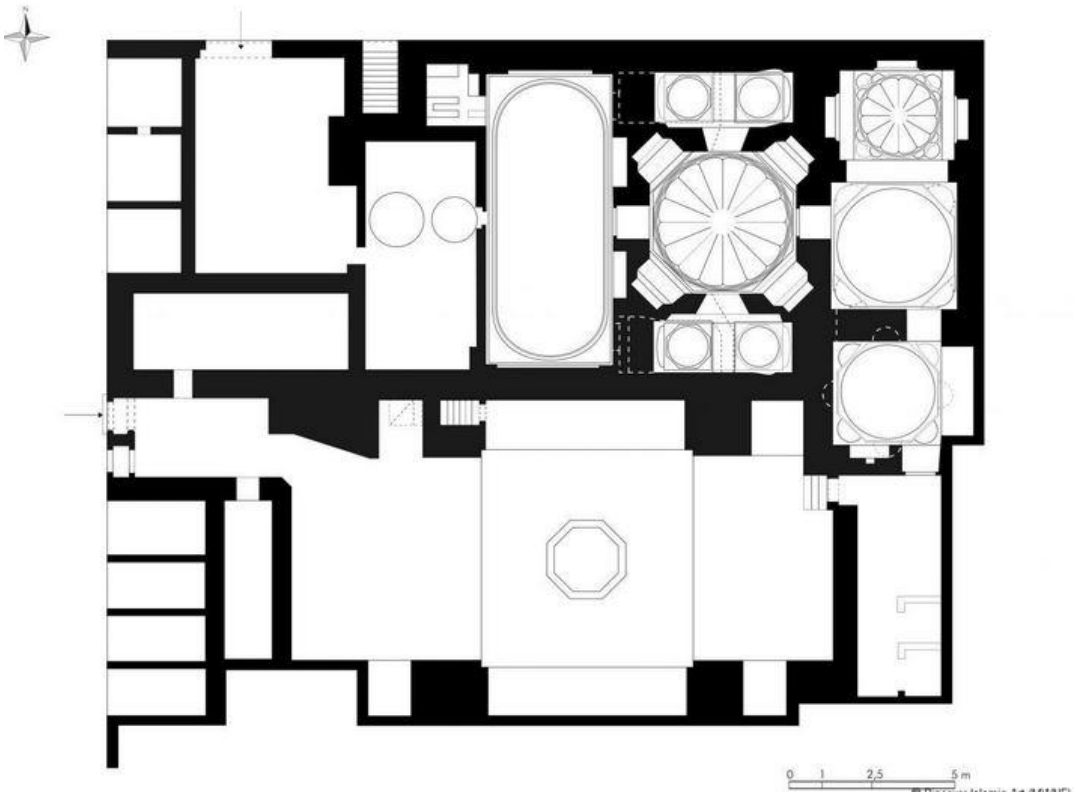

شكل 4: المسقط الأفقى لحمام نور الدين فى دمشق

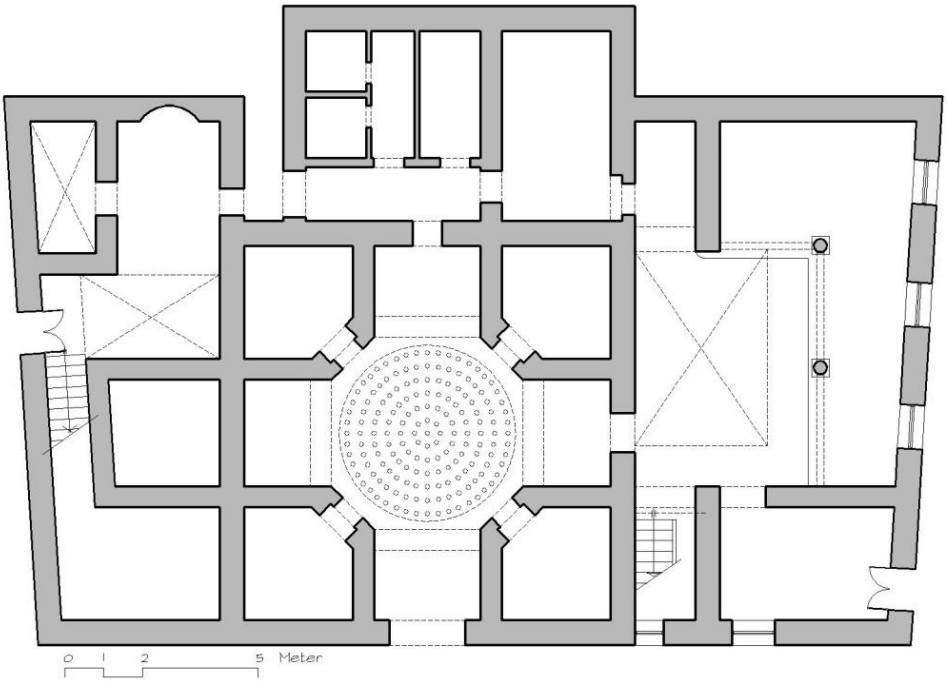

شكل 5 : المسقط الأفقى لحمام الشيخ ابراهيم بالمنشيه عن د. محمد عوض

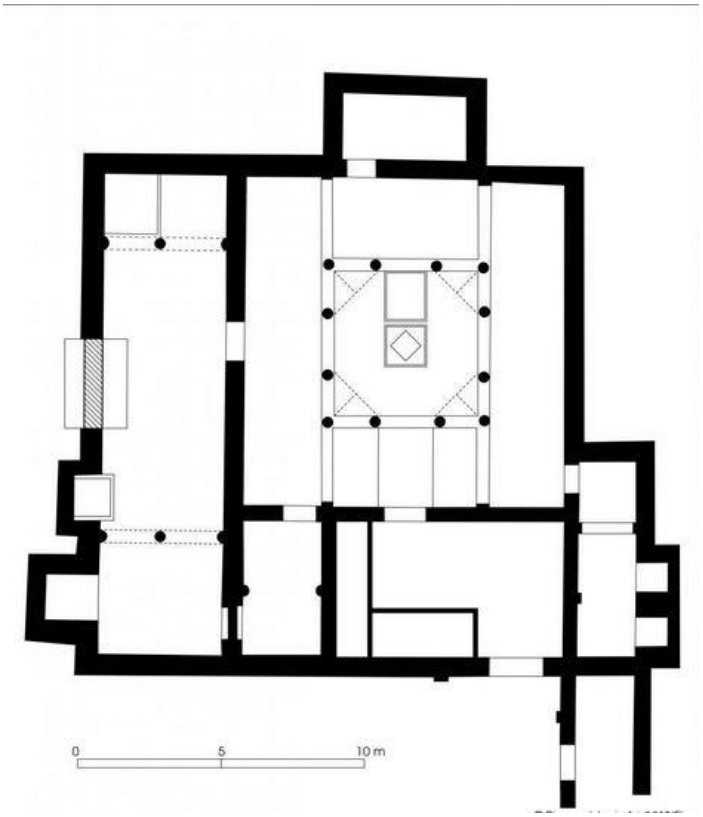

شكل 6: المسقط الأفقي لحمام الصباغين بتونس

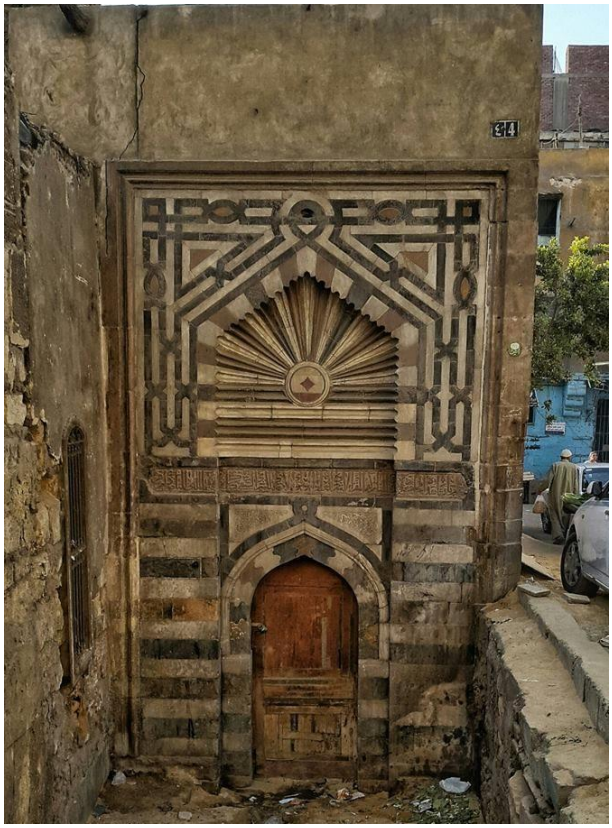

لوحة 1: مدخل حمام بشتاك بشارع سوق السلاح بالقاهرة

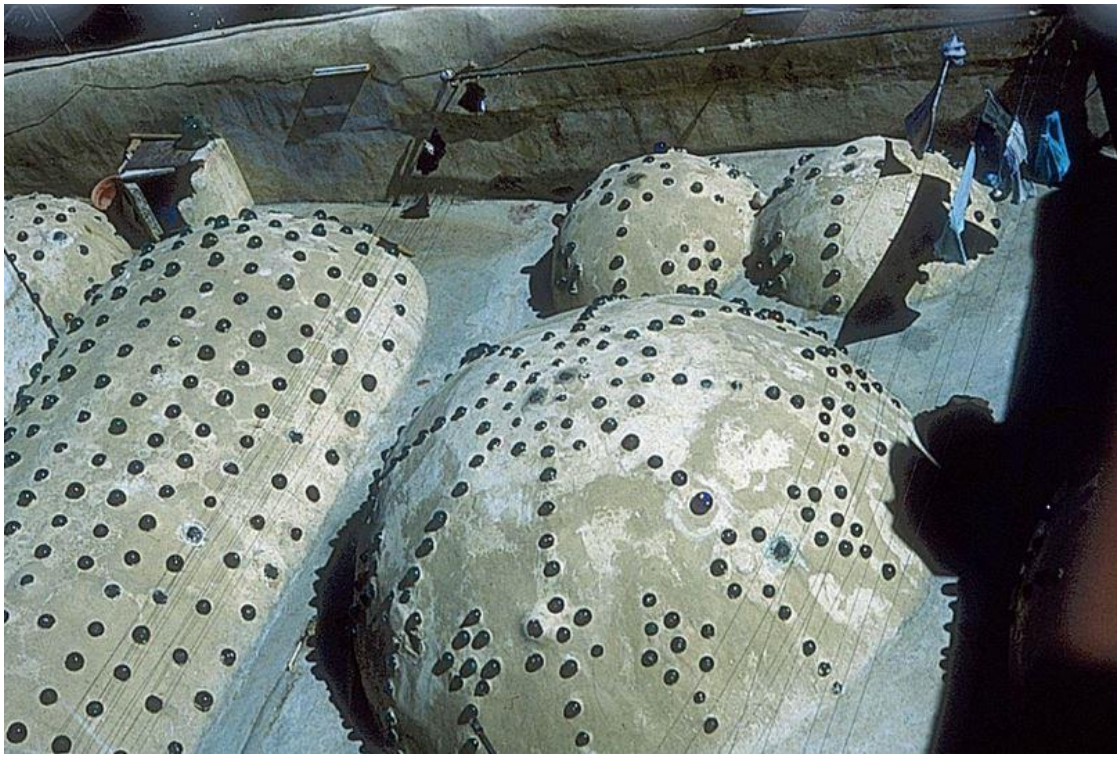

لوحة2: حمام نور الدين فى دمشق

لوحة 3: خلوة فى حمام عز الدين بطرابلس الشام

لوحة 4: حمام السلطان إينال بشارع المعز لدين الله بالقاهرة

لوحة5: حمام تشمبيرلي طاش باستنبول

لوحة 6: بيت الحرارة بحمام إبراهيم سراج الدين بسمنود بمصر

لوحة 7: بيت الحرارة بحمام عزوز برشيد

لوحة8 : المدخنة أعلى حمام الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندرية

لوحة 9: حجرة المصلى بحمام وزير خان بمدينة لاهور بباكستان

لوحة10: قاعة المسلخ بحمام وزير خان بلاهور

لوحة 11 تفاصيل من زخارف الفريسكو بحمام وزير خان بلاهور

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت .

الجمل، سليمان بن عمر العجيلى الأزهرى (ت 1204هـ)، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، دار الفكر، بيروت، دت.

ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ)، المدخل، دار التراث، القاهرة، دت .

ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)، جامع الأمهات، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1421هـ - 2000م.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

ابن سهل، عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني القرطبي الغرناطي أبو الأَصْبَغ (المتوفى: 486هـ) ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، دار الحديث، القاهرة، 2007م .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الحاوى للفتاوي، دار الفكر، بيروت، 2004م.

الأقفهسي، شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي، القول التمام فى آداب دخول الحمام، تحقيق، محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، 2000م.

القوصوني، بدر الدين القوصونى، مقالة فى الحمام، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 243 جغرافيا.

الكمال بن الهمام، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

مبارك، على، الخطط التوفيقية، مطبعة بولاق، 1306هـ.

محمد عليش المالكي الأزهري، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت 1989م.

المقريزي(تقى الدين أحمد بن على ت 845هـ)، ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ /1997م .

المناوي، عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.

ابن نجيم الحنفي، الفتاوى الزينية، دار كنوز إشبيلية، الرياض، 1432هـ.

النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر: 1415هـ - 1995م.

ثانيا : المراجع العربية:

بلحاج طرشاوى، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبى بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، 2007م.

خالد عزب، فقه العمران، العمارة والمجتمع والدولة فى الحضارة الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2013م.

رولى ررفعت أبو خاطر، الحمّامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة إنسانيات، 2014م.

سعاد محمد حسين، الحمامات فى مصر الإسلامية، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1983م.

عادل زيادة، الحمامات الباقية بمدينة دمشق فى العصري المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2008م.

عادل شحاته طايع، حى بولاق ثغر القاهرة منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى – دراسة اثرية وحضارية، دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2007م.

عبد اللطيف إبراهيم، سلسلة الدراسات الوثائقية (1)، الوثائق فى خدمة الآثار " العصر المملوكي"، ضمن كتاب " دراست فى الآثار الإسلامية"، القاهرة، 1979م.

على الصولي، الحمام الإسلامي، قراءة فى الفكر المعماري والعمراني العربي والإسلامي، المعهد العالى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، 2008م.

فهيم فتحى إبراهيم، الحمامات السلجوقية فى الأناضول، دراسة آثارية معمارية، بحث منشور بكتاب مؤتمر التراث فى الآداب الشرقية، 30– 31 مارس، القاهرة 2013م .

محمد أمين، ليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، القاهرة، 1990م.

محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك،رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، 1980م.

محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة رقم 128، الكويت، 1988م.

محمد عبد الستار عثمان ، فقه عمارة الحمامات فى العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات فى صعيد مصر " والمنشورة ضمن أعمال المؤتمر الرابع لمدونة الآثار العثمانية " التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم"، زغوان، تونس، 2001م.

محمد عبد الستار عثمان، فقه العمارة بين البحث والتعليم، المؤتمر الدولى الأول للتراث العمراني فى الدول الإسلامية، 23–28 مايو 2010م.

محمد على عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مكتبة الإسكندرية، 2007م.

منصور محمد عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني، دراسة أثرية مقارنة، رسالة دكتوراه بكلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م.

نوره العرفاوي، حمامات مدينة تونس من القرن 17م إلى مطلع القرن 20م، مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية، بحث مكمل لدرجة الماجستير، كلية الآداب بمنوبة، قسم التاريخ، 2003م.